الفينومينولوجيا الإستيطيقية
عند هنري مالديني

نعيمة هدية : طالبة دكتوراه /جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان

اشراف : د. بودومه عبد القادر/ جامعة تلمسان

الملخص:

مما لا شك فيه، تعدد الفلاسفة في تناولهم للموضوع الإستيطيقي لما يحمله من الأهمية ضمن الحقل الفلسفي إلى جانب المحاور الكبرى التي تبني الهيكل الفلسفي، لكن في طرحنا هذا ستكون معالجة الموضوع الإستيطيقي ضمن حقل عميق، جدير بالبحث ألا وهو الحقل الفينومينولوجي، لذلك الأمر ستكون المعالجة الفلسفية في مقالنا هذا مزدوجة على الجانبين الفينومينولوجي والإستيطيقي. ما جعلنا نتطرق إلى هوسرل المؤسس الألماني للفينومينولوجيا ثم إنتقالنا إلى هنري مالديني الفينومينولوجي الفرنسي لدراسة ما آلات إليه الفينومينولوجية الفرنسية في الجانب الإستيطيقي.

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة ؛ الفينومينولوجيا ؛ الإستيطيقا ؛ هوسرل؛ هنري مالديني.

مقدمة:

بعد المشروع الفينومينولوجي الذي طرحه هوسرل الهادف إلى التأسيس لعلم شامل، والانعطاف الذي أحدثه بتفكيره متجها نحو حقل قد اعتقد منه مكانا للجوء والبدء لإعادة الهيكلة لبعض المفاهيم التي تدير الفينومينولوجيا وتؤسسها، إنه إذن الحقل الإستيطيقي، محاولا بذلك اقتناء السبل والآليات التي بإمكانها تلخيص العناء الذي من الممكن أن يعتريه في رحلته الفينومينولوجية.

ناهيك على أن هوسرل، قد وجد فيه ما يُمكنه من تمتين الأسس الفينومينولوجيا وتوسيع حقل البحث المعرفي للفينومينولوجيا، وهذا إن يعني أن هوسرل حاول إرساء مفاهيم الفينومينولوجيا على مجالات أخرى قصد الإلمام بالنقائص التي ربما قد تعثر سيره البحثي. إضافة أن الإستيطيقا مع هوسرل أصبحت تولي الإهتمام إلى كل ماهو مرئي بصري.

و بالتالي يمكن القول أن الموضوع الفينومينولوجي بعد هوسرل أصبح ولا يزال إلى الآن مصدر شغف للبحث من قبل الكثيرين خارج الحدود الألمانية وبالخصوص على الصعيد الفرنسي كما كان الأمر مع ميرلوبونتي، ميكائيل دوفران، هنري مالديني، فرانسواز داستور، الذين وجدوا فيه الملجأ الأصيل للفلسفة، لكن هذا لم يمنع من محاولة رسم خطوط خاصة لكل مُتناول لهذه الفلسفة.

لذلك سنحاول في بحثنا هذا التعرف إلى الحقل الفلسفي الفرنسي وبالخصوص عند هنري مالديني وكيف إنفتح على الفينومينولوجيا الهوسرلية، وبالتالي إدراك الإستيراتيجيات التي مكنت الموضوع الإستيطيقي من التكيف مع الحقل الفينومينولوجي الفرنسي، بمعنى آخر هل الأمر كان نفسه مع الفينومينولوجيا الألمانية الهوسرلية، أم جرت تغييرات؟ هل الفينومينولوجيا الفرنسية رسمت لنفسها الجديد مع هنري مالديني؟

النص:

لكن قبل الولوج إلى الحقل الفينومينولوجي الفرنسي ضمن الحيز الإستيطيقي مع هنري مالديني سنعرج قليلا إلى هوسرل وحيثياته الإستيطيقية.

1-الإستيطيقا الهوسرلية:

كان الإعلان الأول لهوسرل سنة 1913 في المجلد الأول للأفكار، الذي أبرز فيه الجهة الواسعة المتعلقة بمحاولة تطوير فينومينولوجيا الفن في جوهرها. وفي 1927 أعلن "وارنار زييجو نفوز" عنها بلقب الفينومينولوجيا الإستيطيقية المكرس لعمل مؤلف من وجهة نظر فينومينولوجية.

ولعل سنة1907 الموالية لشروع هوسرل ببلورة الرد الفينومينولوجي قد تزامنت مع الرسالة التي بعثها هوسرل لصديقه "هوغو فون هوفمنستال". التي فيها يتجلى إنعطاف هوسرل نحو الإستيطيقا الذي نكتشفه أيضا في الهوسليانا [1] iii، التي فيها شرح العمل الشامل المختلف في الإدراك،الخيال،الزمن.

في الواقع الإستيطيقا موزعة على شكل جزء من فلك الحكم،التي كانت دائما تابعة إلى حد أبعد بالمواضيع الخاصة بالخيال ووعي الصورة.

تحاول الإستيطيقا تحديد النمط المتنوع "للتمثل" كمعارض للإدراك المباشر أو "كعرض يرشد هوسرل لتفحص الخبرات التي لدينا المتعلقة بالتلوين، النحت، العمل المسرحي...،وكذلك الفن الناشئ مؤخرا الخاص بالخبرات السينيمائية التي تظهر أحيانا حسب التنمذج لميدان متكامل بدون بحث.

في سياق آخر هوسرل وفي تقابل مع الإدراك، يفهم الذاكرة والأمل، إنه إبداع مفضل إلى أن يتموضع الفعل، ويصادق على "طابع عال متقلب"2.

إن الفينومينولوجيا تريد البدء من الخبرة المباشرة بالعالم والأشياء، أي من ماهية الأشياء كما تبدو في خبرتي، وليس في إعتبارها وقائع مستقلة عني. وبذلك كانت الماهيات الفينومينولوجية ماهيات عيانية مستمدة من الحدس المباشر وليس هناك في إدراك ووصف وتحليل هذه الماهيات أية عملية إستدلالية، وبالتالي كل تنظير إستدلالي إنما يُستبعد من مجال الفينومينولوجيا3.

وهو نفس الأمر الذي تحدث عنه هوسرل أن الفنان يشاهد العالم للحصول على المعرفة من الطبيعة ومن الإنسان لخدمة أغراضه الخاصة، الأمر المماثل لطريقة الفينومينولوجي،فهذه المشاهدة لا تماثل الملاحظة التي يقوم بها عالم الطبيعة وعالم النفس. فحينما يشاهد الفنان العالم يصبح هذا الأخير ظاهرة له ووجود الإنسان والطبيعة غير مكثرت به،كما هو الحال عند الفيلسوف في نقد العقل. لكن الإختلاف يكمن في أن الفنان على عكس

---

[1]: أنظر،

Husserl, Hogo Von Hofmannsthal« correspandance », Translation: Sven-Olov Wallenstein, Husserliana Dokumente, Briefwechsel, vol. VII, (Dordrecht: Kluwer, 1994), p2) , Magazine site,kungstensgatan 26 se-113 57,stockholm,sweden,2009,P2.

2: ibid,p3.

[3]:أنظر، توفيق سعيد ،دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية – الخبرة الجمالية – "هيدغر،سارتر، ميرلوبونتي، دوفرين،إنجاردن"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط1،1992،ص ص 19،20.

الفيلسوف لا يحاول تأسيس "المعنى" لفينومينولوجية العالم بواسطة المفاهيم، إنما من الأجدر أن يكون حدسيا من أجل الجمع بينهم، وما إذا كانت هناك وفرة في المواد اللازمة لخلق أشكال إستيطيقية4.

2-الفعل القصدي ضمن فلسفة هوسرل الإستيطيقية:

إن مهمة الفينومينولوجيا للعمل الفني تفترض،كما أكده . مالديني . ، من وجوب معرفة إزدواج المعنى لمصطلح "الإستيطيقا": "إستيطيقا الإحساس وإستيطيقا الفن". الذي يعتبر"الفن هو حقيقة الإحساس" كون الإيقاع هو حقيقة الإستيطيقا.فهذا الجوار بين الفن و"الإحساس"يدعم ذلك التباين الواضح بين معارضة الإحساس مع الإدراك. فكل إحساس هو إتصال مزدوج: حركة متواصلة مغطاة ومفصولة5.

بالنسبة لهوسرل القصدية المحجوبة ليست في الفعل، لكننا سنتجاهل هذه القصدية لأنها تكون مرافقة للإلهام الملائكي، أين الشاعر يسكن في السكون وينتظر في "الفراغ "المحض لوعيه أين الإلهام "يسقط" عليه من "السماء". تُراهن التجربة الإستيطيقية على أن الفن له وظيفة « propédeutique »،وأن الموضوع الإستيطيقي هو فرصة بناء وتأسيس، وبذلك تصبح التجربة الإستيطيقية مَهَمَةً6. تُظهر لنا هذه التجربة الإحساس بشكله الراقي، وهي مباشرة وفورية قطعت شوطا ليس لأنها لعبت مخطط التمثيل، لكن أيضا لأنها إتجهت بالتفكير نحو الإحساس، لذلك إكتمل هذا الأخير. بمعنى أن التجربة الإستيطيقية مارست قصدية ما نحو الإحساس ليُنجز7.

ويجب أن يأتي الموضوع الإستيطيقي لإتمام هدفه الفني، الذي يفترض الفعل للوعي والذي يستلم العمل الفعال المتعلق بالموضوع الإستيطيقي. هذه الرؤية تطورت مع الفينومينولوجيا التي لم تتحيز إلى مشكل تعريف أو تصنيف الفن والعمل الفني. وعلى الرغم أن هوسرل تناول الموضوع الفني لكنه لم يكن شغله الشاغل، إنما نجاحاته

4:Husserl , Hogo Von Hofmannsthal« correspandance »,opcit,p2.

5 :Philippe Cabestan et autres,Introduction à la phénoménologie contemporaine ,philo collection dirigée par Jean – Pierre Zarader ,ellipses ,Paris,2006,p p 69,70

6:Eliane escoubas et autres,Phénomenologie et Esthétique, encre marine,Paris,1998 p p128,74.

7: Dufrenne Mikel,Phénoménologie de l'experience esthétique -2-« la perception esthétique, Epiméthée,PUF,presses univer-sitaires de France,3er édition,1992,p 471

وجدت صدى في فرنسا على الخصوص ، وإلهاما معمقا لهذا المنهج من الفلسفة، وكان الوجه الأكثر أهمية لهذا التجديد هو موريس ميرلوبونتي والذي قام برجوع إستيطيقي إلى الفينومينولوجيا الهوسرلية8.

على غرار التفسيرات الفلسفية الأخرى التي تناولت الخبرة الجمالية فإن الفينومينولوجيا تحاول دائما الإبتعاد عن كل تفسير للخبرة الجمالية على أساس تعميمات مستخلصة تجريبيا وإنما من منطلق إستبصار ماهية الخبرة[9].

ضمن هذا المضمار سنلتفت إلى الفلسفة المالديينية و تجلياتها ضمن الحقل الفينومينولوجي الفرنسي.

3- الإنفتاح المالديني على الفينومينولوجيا الهوسرلية:

بحث هنري مالديني في طبيعة الفرضيات المعروضة في عصره وبالخصوص لأكبر الوجوه المؤسسة لتيار التفكير العظيم وهما هوسرل وهايدغر ،فطرح تساؤلا مفاده: نحو أي فينومينولوجية للفن؟ لم يكن هنري مالديني أكبر قارئ لمعاصريه بقدر ما كان ينتقي مجموعة كتابه المفضلين ،فكثيرا ما كان يتقاسم ويتشارك في الخصوصيات مع بعض أفكار الفلاسفة المعاصرين مثل ميرلوبونتي وليفيناس فدائما ما كان يستدعي الإنتباه من أجل التعمق الفطن سواءا لسؤال الإحساس أو للقاء الإتيقي ، ومن جانب آخر كان يتجنب ذكر آخرين ولا يستشهد بهم ، و لا يملك قدرة قراءتهم ولا يرى الوضوح فيهم، كميشيل هنري أو برنارد فالدنفالس على الرغم أن فرضياتهم أحيانا تكون أكثر قوة وصرامة. كما علم أنه لا وجود لإسم ميشيل هنري في فكر هنري مالديني ،بيد أننا نجد العكس حيث يتواجد هنري مالديني في فكر ميشيل هنري.

لقد كتب هوسرل أن العنصر الحواسي في الذات ليس قصدي،ما يعني أن الأحاسيس يتم إرجاعها إلى ما يسمى بالعواطف بالرغم أن هذا المصطلح لم يكن ملفوظا من قبل هوسرل، فهي تتواجد في عمق كل دلالة قصدية .

يعد النص المؤرخ في 1966 و المكرر في regard, parole, espace, والمعنون بـ " كشف البعد الإستيطيقي في فينومينولوجيا إرفان ستراوس" كتب فيه مالديني أن البدء يكون أين إنتهى التحليل القصدي لهوسرل، ومتابعة لتحليله الفينومينولوجي كتب مالديني أيضا :" الواقع لا ينتظر الإفصاح كون الموضوعية تكون حسب بعد المنطق. فالكائن المحض للكينونة يتجاوز و ينفذ موضوعه الكائن. نحن حاضرون فيه ضمن منفذ أكثر أصالة للذي في القصدية".

8:Laurent et Nathalie Cournarie, article :L'art L'esthétique en question,philopsis cournarie,2010,p15.

[9]:سعيد توفيق،المرجع السابق،ص 66.

فأصالة الفينومينولوجيا ترجع عند مالديني إلى تحليل الإحساس و الذي يكون أساسيا ، فهو نمط الإتصال قبل التفكير الذي نختبره في كينونتنا مع العالم.

إن مهمة فينومينولوجيا العمل الفني، مثلا عند هنري مالديني صممت للإعتراف بالمعنى المزدوج لمصطلح الإستيطيقا : الفرق بين إستيطيقا الإحساس و إستيطيقا الفن . من الواحدة إلى الأخرى ، فالفجوة بينهما تمثل الحقيقة :" الفن هو حقيقة الإحساس "[10]، فهو يحمل و يحافظ على مفهوم الإيقاع :" الفن هو حقيقة الإحساس ،لأن الإيقاع هو حقيقة الإحساس aisthesis"[11].

هذا الفرق أو الفجوة تدعم التعارض المتعذر رفضه : معارضة الإحساس والإدراك. فبالإعتماد على تحليلات و مصطلحات **أروين ستراوس Erwin Straus** ، كتب مالديني أن الإحساس مثل الغير مقصود (وصفه بأنه غير مقصود) وبالتالي دون تحديد الموضوع : الإحساس هو لحظة مثيرة للشفقة و thymique، إذن إن الإدراك هو قصدي و يشكل لحظة موضوعية ومعرفية. هذا الإنفصال الأساسي (التفكك الأساسي) يلزم على إعادة تعريف عام للإحساس ، لكل إحساس مهما كان نوعه، إنطلاقا من دافع " الإتصال" : كل إحساس (حتى النظر) هو إتصال ، مزدوج الحركة مستمر الإلتفاف و الإنفصال.[12]

إنطلاقا من هذا المعنى للإحساس يتوجب أن نصغي إلى صيغة سيزان التي نقلها مالديني ضمن رسالة إيميل برنار Emile Bernard بقوله : " أنا أبحث عن تعبير لهذه الأحاسيس المربكة التي نحملها منذ الولادة"[13]، لأن "الفن هو حقيقة الإحساس، والكشف عن العمق الخفي(المضمون الخفي) الذي من خلاله يتم قطع وفصل الإدراك الموضوعي الذي يقمع و يكبت المحسوس aisthesis.

تحمل كلمة الإستيطيقا معنيين :الأول يتعلق بالفن، والثاني يتعلق بقابلية تلقي المحسوس. الإستيطيقا– الفنية هي حقيقة الإستيطيقا – الحسية ، التي لها وحيها في كينونة العمل (العمل الفني). البعد الدلالي (المعبر) هناك، في حالته الأصلية الدائمة،في حال مجيئه،يمنح نفسه إزدواجية التمظهر apparaitre،من خلال إتجاهات

10 Eliane Escoubas,l'esthétique,philo collection dirigée par Jean- Pierre Zarader,ellipses,paris,edition 2004,p 217

11 :Henri Maldiney,Regard,Parole,Espace,introduction générale de Jean – Louis Chrétien ,les editions du cerf,paris,2013,p 153

12 : Eliane Escoubas,l'esthétique,opcit,p 218

13 :Henri Maldiney,Regard,Parole,Espace, opcit,p 16

الإحساس التي تمثل المفاصل المكانية و الزمانية للحضور... الفن هو تحول من الإنفتاح على العالم إلى الإنفتاح على الكائن (الوجود) من هناك".[14]

هنا يتجذر التمييز المالديني لنمطين من الفن: الفن التوضيحي والفن الوجودي :" الفن التوضيحي art allustratif، الذي يمنح الأشياء الصفات الفطنة des qualités épithétiques والفن الوجودي هو الذي سيكون فيه الحضورالذي نحن فيه"[15].

يشترك الإنسان والعمل الفني في "**الوجود**" ، لكن الوجود يقيم في **كيف**، وليس في **ما** ، الإنسان أو العمل (العمل الفني) :" يوجد ، بمعنى غير مبتذل ، يملك أفقا(يملك رداءا) خارج الذات، منتشيا(إنتشى من النشوة)، دون الحاجة إلى المغادرة من الوضع السابق بمحايثة محضة (بتحايث محض)...فهذا البعد الإنتشائي exatique هو مثيل للعمل الفني . له رداؤه (أفقه) خارجا ....لا يحمل معه إلا الذات "[16].

حسب مالديني لابد من ترتيب "الفن التصوري" مثلما رتبه كوسوث Kossuth. وبالتالي يمكن تحديده كأزمة مفهوم الصورة كما فعل مالديني. الصورة بإعتبارها صورة محاكية ،هذا يعني أنها مدركة حسيا ومعرفيا ، وخالية من أي وظيفة فنية: ضمن هذا المعنى ،العمل (العمل الفني) لا يمكن أن يكون صورة .

الصورة، في الفن، ليس لديها شيء مشترك مع هذه الصورة – هنا، و هكذا يوضح مالديني وضع هذه الأزمة من الصورة، عندما قال : " الصورة في الفن ، ليس لديها وظيفة المحاكاة، إنما التمظهر apparaitre". هذه هي " وظيفة التمظهر " التي إكتشفها مالديني في عبارة **ماتيس Matisse** و أعاد بعثها عدة مرات خلال أعماله :" عندما أضع الأخضر ،هذا لا يعني العشب "، أين تُرفض بشدة لحظة الهدف و محاكاة الصورة من قبل الرسام نفسه.

أيضا كما يتضح في الصيغة المستنيرة التي يؤكدها مالديني مرارا، بأن الرسم التشكيلي بإعتباره عمل فني ، "ليس من المفترض أن يُنظر إليه، إنما أن يُرى".

« n'est pas faite pour etre vue,mais aussi pour voir ».[17]

أولا و قبل كل شيء هذا هو المعنى نفسه للفينومينولوجيا الذي ينطوي هنا على الفينومينولوجيا المحضة propre أو السمات المميزة للفينومينولوجيا التي تكشف التحجب عن كينونة الظواهر إنطلاقا من ذواتها

14 :Henri Maldiney , art et existence ,édition Klincksieck,Paris,1985,p27 .

15 :ibid,p10 .

16 :ibid,p7 .

17 :Henri Maldiney,Regard,Parole,Espace, opcit,p 123 .

.[18]فمعنى الظاهرة ،إنطلاقا من الظاهرة ذاتها،هو معنى الكلمة الإغريقية phainesthai: التمظهر (الإظهار)، و هو طفرة دون سابق، دون خيبة: "تمظهر الشيء لا يمكن أن ينتج قبلا (من قبل)"[19].

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول :

*هوسرل فضل الولوج إلى الموضوع الإستيطيقي على وجه التخصيص بغية البحث عن سبل جديدة من الإستيطيقا قصد التهذيب من حدة الصرامة الفينومينولوجية.

*العمل المزدوج الذي قام به ادموند هوسرل جعله يدمج بين الحقلين الفينومينولوجي والاستطيقي ما نتج عنه ولادة جديدة لحقل هجين ألا وهو الفينومينولوجيا الإستيطيقية.

*الصيت الفينومينولوجي الألماني أسفر عنه صيتا جديدا بفرنسا، تنوعت وتعددت خلفياته، لكن هذا لن يمنع من القول أن الأساس هو الفينومينولوجيا الهوسرلية دائما.

*إن التجربة الإستيطيقية عند هنري مالديني مهما اختلفت تفسيراتها الفينومينولوجية ضمن الحقل الفرنسي وتشعبت بوادرها، إلا أن ذلك الأمر لم يجعل هنري مالديني ينفلت من قبضة الفينومينولوجية الألمانية الهوسرلية التي هي أساس البدء .

18 :Henri Maldiney,L'art,l'éclair de l'etre, comp'act , Paris, 1993,p 261 .

19 : ibid,p 17.

قائمة المراجع:

1/المراجع بالعربية:

*توفيق سعيد ،دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية – الخبرة الجمالية – "هيدغر،سارتر، ميرلوبونتي، دوفرين،إنجاردن"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،ط1،1992.

2/المراجع بالفرنسية:.

*Philippe Cabestan et autres,Introduction à la phénoménologie contemporaine ,philo collection dirigée par Jean – Pierre Zarader ,ellipses ,Paris,2006.

*Eliane escoubas et autres,Phénomenologie et Esthétique, encre marine,Paris,1998.

*Dufrenne Mikel,Phénoménologie de l'experience esthétique -2- « la perception esthétique, Epiméthée,PUF,presses univer-sitaires de France,3er édition,1992.

*Eliane Escoubas,l'esthétique,philo collection dirigée par Jean-Pierre Zarader, ellipses, paris, edition 2004.

* Henri Maldiney, Regard, Parole, Espace, introduction générale de Jean – Louis Chrétien ,les editions du cerf,paris,2013.

*Henri Maldiney , art et existence ,edition Klincksieck, Paris,1985.

*Henri Maldiney,L'art,l'éclair de l'etre, comp'act , Paris, 1993.

3/المقالات بالفرنسية:

Hogo Von Hofmannsthal« correspandance », Husserl,*
Translation: Sven-Olov Wallenstein, Husserliana Dokumente, Briefwechsel, vol. VII, (Dordrecht: Kluwer, 1994), p2) , Magazine site,kungstensgatan 26 se-113 57,stockholm,sweden,2009
Laurent et Nathalie Cournarie, article :L'art L'esthétique en *
.question,philopsis cournarie,2010